مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 9 / العـدد: 02 (2021)، ص 1279 -1303

# السيولة وتجلياتها في مقاربة باومن النقدية للحداثةالغربية

# La liquidité et ses manifestations dans l’approche critique de ZygmuntBauman de la modernité occidentale

الدكتور: أحمد أمبارك[1] الدكتور: محمد أمين بكيري[2]

[1]جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر).

[2]جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر).

a.embarek@univ-dbkm.dz

m.bakiri@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/26 تاريخ القبول: 2021/09/28 تاريخ النشر: 2021/10/07

**ملخص:**

تتمحور هذه الدراسة الموسومة ب:" السيولة وتجلياتها في فلسفة باومن- النقدية للحداثة الغربية في ضوء فلسفة البولندي "زيغمونت باومن" حول الحداثة السائلة، التي حاول من خلالها تقديم مقاربة نقدية عملت على تحليل ونقد مختلف التجليات التي رسمتها الحداثة الغربية في مسيرتها وانتقالها؛ من الصلابة التي دشّنها عصر التنوير وصولا الى رفض السيولة وسرعة التغيير، وفي هذا المسعى النقدي يكون زيغمونت باومن قد حمل على عاتقه استقراء الواقع الإنساني في هذه المرحلة والتساؤل حول حقيقة هذا الوضع الإنساني في عصر التحولات المتسارعة والتحديات الكبرى التي فرضتها الحداثة السائلة بفضل النزعة الاستهلاكية التي تعمقت آثارها في عصر العولمة، وفيها يتضح الكثير مما يعنيه باومن بالسيولة، سيولة البشر بتدفقهم وسيولة المال والهويات بتغيرهما المستمر، ومن هذا المنطلق يبدو أنّ الاهتمام بهذا الإشكال المحوري لدى باومن تظهر أهمية هذه المقاربة النقدية للكشف عن أهم تمظهرات السيولة وتجلياتها في طرح باومن النقدي حول الحداثة الغربية.

تنتهي هذه الدراسة إلى أهم انعكاسات السيولة على الانسان والفكر والأخلاق التي ارتبطت بدورها بنظام العولمة وعلى ما فرضه من تهديد للبشر والإنسانية جمعاء.

**الكلمات المفتاحية:** الحداثة، الحداثة السائلة، الحداثة الصلبة، السيولة.

**الترجمة باللغة الفرنسية للملخص:**

L'étude dont le titre est - La liquidité et ses manifestations dans l'approche critique de ZygmuntBauman du modernisme occidental – porte sur la modernité liquide, à travers laquelle il a tenté de présenter une approche critique sensé analyser et critiquer les différentes manifestations forgées par la modernité occidentale dans son parcours et son passage de la solidité inaugurée par l'époque des Lumières au rejet de la liquidité et de la vitesse du changement et Dans cette entreprise critique, Zygmunt Baumann s'est chargé d'extrapoler la réalité humaine à ce stade et d'interroger la vérité de cette condition humaine à l'ère des transformations rapides et des défis majeurs imposés par la modernité liquide grâce au consumérisme qui a approfondi ses effets dans l'ère de la mondialisation. Donc, il devient clair qu'une grande partie de ce que Bauman entend par liquidité, la liquidité des êtres humains avec leur flux, et la liquidité de l'argent et des identités avec leur changement constant. De ce point de vue, il semble que l'intérêt de Bauman à cette problématique montre l'importance de cette approche critique pour révéler les manifestations les plus importantes de la liquidité et ses manifestations dans la proposition monétaire de Bauman sur la modernité occidentale.

---

**المؤلف المرسل:** أحمد مبارك

## 1. مقدمة:

يرتبط ظهور الحداثة في العالم الغربي بالمد الطّبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية، وصولا إلى العصور اللاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب الفلسفية المتصارعة، لكن اختلف النقاد في تاريخ نشأة الحداثة ودلالتها والموقف منها، لكنهم يجمعون على مصدرها الغربي، فغالبية الباحثين يرون أن بدايات الحداثة بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر على يد شعراء فرنسا "شارل بودلير" و"رامبو"، و"ملارميا"، وذلك مع بداية الرمزية ونهاية الرومانسية، كما يجمع الكثير من الباحثين على أن بدايتها كانت في فرنسا؛ حيث ركزت على سيادة العقل والتعقل والعقلانية وهي المقولات التي عرفها عصر الأنوار بالدعوة إلى إلغاء الحكم السياسي المطلق وإعلان حقوق الإنسان وحرية الفرد، وفصل الدين عن الدولة، وترسيخ دولة القانون وإطلاق المجتمع المدني وترسيخ روح المواطنة، وتحديث المجتمع وإقامة توازن بين الروح والجسد، فالحداثة هي الصورة التي تجلى فيها حلم العالم الغربي في البحث عن عالم مثالي والانسلاخ عن الكنيسة وعلى سلطتها الروحية.

لقد كان لظهور العلم أثر كبير في خروج أوروبا من هذه الخرافات التي فرضتها الكنيسة لتدخل عصرا جديدا بلغ أوج تطوره العلمي مع الثورة الصناعية في إنجلترا والثورة الفرنسية في عام**(1789)**، وعليه يمكن القول: الحداثة حركة نقدية مناهضة لتقاليد الكنيسة، مهدت لظهور الحضارة الغربية؛ حيث شهدت أوروبا ثورات علمية مع **غاليلي وكوبرنيكوس** لخصت بداية التحرر من الفكر الرجعي حيث قدمت الأولوية للفكر العلمي الذي أدخل أوروبا في العصور الحديثة وكانت الحداثة بمختلف تجلياتها، حيث ابداع الإنسان لوسائل الحياة والرفاهية التي قابلها تراجع مخيف في ظل حضارة العولمة. لقد تناول كل معطيات الحداثة بالنقد والتحليل ليصل إلى أن الحداثة غيرت كل المفاهيم الصلبة لتصبح سائلة،

فكانت حداثة، الحب، الثقافة، الأزمة، الأخلاق، كلها سائلة تماشيا مع معطيات الحداثة السائلة.

**من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة:**

**زيعمونت باومن** هو أول من نحت مصطلح الحداثة السائلة وهو واحد من رواد ما بعد الحداثة، ولذلك أردت قبل الخوض في مصطلح السيولة الذي نحته **زيعمونت باومن** أن أقدم تعريفا موجزا لهذا المفكر العالم الناقد.

« **زيعمونت باومن ZygmuntBouman**» فيلسوف وعالم اجتماع بولوني الأصل، من عائلة يهودية، يحمل الجنسية الانجليزية وهو من الفلاسفة الماركسيين البارزين في النصف الثاني من القرن العشرين وينتسب إلى المدرسة النقدية والتجديدية تأثر **بجورج زيمل، وأنطونيو غرامتشي، وروبرت كاستل، وبير كورديو،** اهتم في الخمسينات والستينات بالاشتراكية البريطانية وحركة العمال وهاجر من بلده بحجة معاداة السامية واستقر في بريطانيا كأستاذ للفلسفة بجامعة ليدز إلى حين تقاعده. (همام، 2020، صفحة الحداثة والخوف وكوروناص04)

ألف **باومن** موسوعة السوائل ونظم مجموعة كتب، الحداثة السائلة، الحياة السائلة، الخوف السائل، الحب السائل، الأزمة السائلة، المراقبة السائلة، الثقافة السائلة، الشر السائل، وكلها كتب تقدم نموذجا تفسيريا للزمن المتغير وفهم التحول العظيم في الحياة الإنسانية، تحول مفزع، وضع إنساني مختلف يعكس مأساة الحداثة وزوال كل ما هو صلب ويقيني وثابت، اشتغل أستاذا منذ **1971** في قسم علم الاجتماع ومنذ ذلك الوقت كانت كتب **باومن** تنشر باللغة الانجليزية، ويعد **باومن** من أبرز أوجه الحركة المناهضة للعولمة النيولبيرالية. ( http://aawsat.com/home/article828101.، بلا تاريخ)

لقد عمل **باومن** على محاولة إذابة الكيانات الثابتة وتمييعها من داخل الحداثة وهو ما سنتناوله في لاحق هذا المقال.

**من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة (تحولات الحداثة):**

تضاربت أقوال الفلاسفة والمفكرين بين رافض ومهلل لا لشيء إلا لكون «مفهوم الحداثة مفهوما عائما، يلغي ذاته باستمرار، بيد أنه استطاع أن يخلف فينا ردود فعل متناقضة وتواترا نادرا بين الانتكاس والانبهار، بين الدعاية اللامشروطة، والرفض التام...». (الشيكر، 2006، صفحة 09)

لقد مهد الفلاسفة لمفهوم الحداثة فضاءات للحوار والنقاش وأكدوا على أنها حالة نهوض وتغيير في أنماط التفكير والحياة، تغيير في الحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية والأخلاقية والاقتصادية حيث يقول **ألان تورين** في هذا الشأن: «نمط خاص في مقابل كل صنوف التقليد وضروب الثقافة الإرثية التي تتمسك بنقطة زمنية أصلية، وتتشبث بمرجعية متعالية، وأمل مقدس. (تورين، 2010، صفحة 15)

الحداثة هي الثورة على جوانب الحياة الكلاسيكية لتفتح المجال أمام العقلانية والتطوير، الحداثة مشروع فكري نهضوي يحاول أن يخلّص البشرية من الخرافة وهيمنة الكنيسة إلى التنوير والعقلانية، فهي ملازمة للأنوار ومتشبعة بالنجاحات، وتحرير الإنسان من الهلع والخوف الدائمين، ويصير الإنسان سيدا بما يملكه من أدوات وتقنيات متطورة.

لقد قدم **باومن** وصفا دقيقا للحداثة في كتابه الحداثة والهولوكوست قائلا:« شهد عصر التنوير تأليه الطبيعة، وشرعنة العلم بوصفه دينها الحنيف، والعلماء بوصفهم أنبياء وغدت الحقيقة والخير والجمال، أي كل ما هو كائن، وكل ما ينبغي أن يكون، أشياء يمكن إخضاعها للملاحظة الدقيقة المنهجية. (باومن، الحداثة والهولوكوست، 2014، صفحة 140)

إن الحداثة بهذا المعنى نور أشرق على كل مجالات الحياة، لتصبح مرنة، سهلة، إنها الانتقال من الجهل إلى العلم وأنواره وهي وبهذا المعنى مرحلة صلبة متينة من مراحل تطور العقل البشري في هذا العصر، فما المقصود بالحداثة الصلبة وماهي مميزاتها الجوهرية كما جاء على لسان **زيغمونت باومن** فيلسوف السيولة؟.

## 1- في مفهوم الحداثة الصلبة:

يؤكد **باومن** في قوله: « الحداثة الصلبة هي تلك التي دشنها عصر التنوير في القرن الثامن عشر تأسيسا على التحولات والإرهاصات التي تنامت منذ انتهاء العصور الوسطى وتصلبت في عصر العقلانية». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 11) إن مفهوم الحداثة الصلبة هو ذلك العصر المليء بالإنجازات الصلبة. جاءت الحداثة الصلبة لتؤكد قدرة الإنسان على بسط روح العقل والتنوير في قوله: «جاءت الحداثة الصلبة لتؤكد مركزية الإنسان وقدرته على بسط سلطان العقل على الطبيعة الجامحة وتسخيرها لخدمة البشرية وتقدمها». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 07)، وأصبح الإنسان مصدر خطر على الطبيعة من خلال تطويعها لصالحه، وفي ظل مركزية الإنسان احتاجت الحداثة كما جاء على لسان **باومن** إلى « أهل تخطيط وتنظيم مرسمون تصورهم للفردوس الأرضي جنة الخلد هنا ...». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016)، ويبدو لنا في المرحلة الصلبة كانت كل دولة تضبط خريطتها الجغرافية مع جيرانها ضبطا دقيقا وفي هذا السياق يقول **زيغمونت باومن**: « فكان من سمات حداثة تلك الحقبة ثبات ووضوح الحدود والمعالم». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 11)

تمظهرت تجليات الحداثة الصلبة في تكريس مبادئ الليبرالية من خلال تفعيل ما يسمى بالرأسمالية الثقيلة والتي تجسدت في المشاريع الضخمة

والمعدات، والعمال، هذا فضلا على ارتباط رأس المال بالأرض وهو ما يبشر بعالم أفضل في ظل الديموقراطية، لكن هل صدقت هذه الوجوه التي تغنت بها الحداثة الصلبة؟. يجيب **باومن** في مقولته الشهيرة قائلا: « حالة من التحديث الوسواسي القهري الادماني، وتحسين الأشياء باستمرار، وهي بذلك أشبه بسيف حاد يستهدف دوما الواقع». (باومن، المراقبة السائلة، 2017، صفحة 105)

**2- في تحولات الحداثة الصلبة إلى حداثة سائلة:**

تميز مفهوم الحياة في هذه المرحلة التي برزت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في الأربعينيات من القرن العشرين وتسمى هذه المرحلة عند الكثير من الباحثين **(مرحلة ما بعد الحداثة)**، التي إعتاد **باومن** على تسميتها بالحداثة السائلة، ذلك أن الصلابة في المرحلة السابقة قد زادت وتفككت بفعل عوامل كثيرة متداخلة وقد أولى **باومن** في كتابه " الحداثة السائلة" اهتماما كبيرا بهذه المسألة خاصة في مقدمة هذا الكتاب الذي يطرح فيه سؤالا مفتاحيا حول المنهج الذي يتبعه في دراسة عصر الحداثة السائلة فهو يؤكد على استبدالها بمصطلحات أخرى وعدم لجوؤه للمفاهيم القديمة المتعارف عليها في الأوساط البحثية، هذا ما يساعده في توصيل فكرته إلى القارئ بدقة ويؤكد هذا في السياق:" إن عاداتنا القديمة والمصرة على البقاء في تنظيم توازن القوى بالاستعانة بأدوات مفاهيمية مثل المركز والأطراف، والسلم الهرمي، والأولوية والثانوية، هي أقرب إلى أن تكون معيقة من أن تكون معينة لنا، أن تكون معمية من أن تكون ضوءا يقودنا".

لا شك في أن هذه الرؤية **الباومنية** تتوافق مع هذا الطرح المتعلق بالحداثة السائلة، لهذا فإن **باومن** يلفت النظر إلى عدد من المصطلحات التي يستخدمها خلال البحث والتي قد تكون جديدة للقارئ الذي لم يعتاد على أفكار ورؤى **باومن**، يتناول **باومن** من خلال كتاب الحداثة السائلة اشكاليتي التحرر والحرية، وهي دعوة صريحة للتخلص من القيود وقوامها أن الإنسان يملك الإرادة الكاملة

في التغيير، لكن يؤكد **باومن** على أن هذه الحرية مرتبطة بالخوف والتردد الملازمين للإنسان خاصة في محاولة نقل هذه الحرية الشاملة للمجتمع.

أطلقت الحداثة الغربية على حسب **باومن** عالم الثراء والرفاهية، غير أنه مجرد مظهر زائف نظرا لسيطرة السلطة الممثلة بفئة صغيرة شرعت في التحكم في كل ما حولنا، وبهذا أصبحنا نستسلم للجهل والغباوة وهنا إشارة من **باومن** إلى ضغط الرأسمالية التي تسعى إلى الإبقاء على نماذج من الهيمنة والعناية بالوسائل لا الغايات، ولعله يرجع لثقافة الإدمان على الاستهلاك وقيم التسوق وخداع القيم الرأسمالية من خلال كثرة الخيارات. ونشرت الحداثة الغربية في عصر السيولة وهم الحماية وتوفير كل ما يحتاجه المواطن لكن تحت سمة التحضر من جهة، والحرية والاستلاب من جهة أخرى، إنه عصر السيولة المروّج لها في غياب سلطة، إنه سعي نحو التقدم اللانهائي، وتحول للعمل إلى سلعة وإلى وظيفة قصيرة الأجل علاوة على المرونة وتغيير الوظائف كل حين، إنه زمن دائم التحول حسب **باومن** وعليه تصر على لذة الاشباع من أجل المزيد من الاستهلاك، وهو ما يجري كذلك على العلاقات الإنسانية التي تحولت إلى التميّع وتراجع للوظائف وأصبح الاهتمام بما هو متوفر دون النظر إلى المستقبل، فالعالم أصبح حافلا بالأشياء التي يجب التخلص منها وخاصة تلك التي لا تستعمل إلا مرة واحدة بما في ذلك البشر على حد تعبير **باومن**، لقد تحولت الروابط الإنسانية إلى أشياء تستهلك، لقد أصبح عصر الحداثة السائلة أسير الروابط المرنة وتعالت الأهداف الفردية، وعليه يمكن القول أن الحداثة الصلبة التي دشنها عصر الأنوار كانت بدايتها في القرن السابع عشر وارتسمت أنوارها في نزعة الإنسان المسيطرة على الطبيعة وهي لحظة فاصلة بينها وبين ظهور ملامح عصر جديد يرسم صورة لعصر جديد مغاير يعيد النظر في مركزية الإنسان ويرسم صورة الإنسان في واقع الحداثة السائلة، إنسان الحداثة الباكرة الذي نضج وأصبح بلا روابط. (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة

109)، وتأكد **لباومن** ظهور عصر استهلاكي، مفكك الوحدة، متوحش حذر، مجتمع نمطي، منتج ثقافة الاستهلاك، لقد عملت الرأسمالية على تفكيك العلاقات الاجتماعية واستبدال الوحدة بالمصلحة وسيطرة النزعة الفردية. (باومن، الحب السائل، 2016، صفحة 28)

أصبحت العلاقات الإنسانية ملفوفة بالمنفعة والبعد الذاتي، وارتفع إيقاع الحياة، وهدمت العلاقات الإنسانية وتحطمت القيم فصارت هشة بسبب الخوف من المجهول في عالم الحداثة السائلة أصبح الشر متمكنا من النفوس ومتأصلا في الفرد، إنها ملامح العصر السائل التي تسير بسرعة فائقة وتتجه نحو العدمية وفقدان البوصلة، إنه عصر هشاشة الروابط الإنسانية وأزمة القيم في الأخلاق وغياب البديل حسب **باومن**، لقد تحولت الثقافة من الصلابة إلى السيولة وأصبحت النزعة الاستهلاكية هي المهيمنة والخوف من المجهول والزيادة من الحذر والتوجس وفي هذا الجزء سنتطرق بالتحليل والنقد لأهم مظاهر السيولة وتجلياتها في مقارنة **باومن** النقدية للحضارة الغربية .

شهد العالم المعاصر تطورا تقنيا وعلميا هائلا يعكس هيمنة التكنولوجيا على كافة مجالات الحياة وهيمنة العقلانية على الفرد والمجتمع خاصة و بات العالم يسير نحو السيولة كما قال **زيغمونت باومن**، لقد فتح المجال أمام ظهور الإنسان السائل على حد تعبير **باومن** والتحرر من كل المرجعيات الصلبة التي تحكم في حياته، وهو ما انعكس سلبا على تفكير الإنسان المعاصر وسلوكه، إن ميلاد فكرة الحداثة السائلة وأفول كل ما هو صلب أدى إلى رفض جميع القيم التنويرية والدعوة إلى التشكيك والتفكيك ورفض الانسجام. (جدروان، 2020، صفحة 02)، وتحول الإنسان على لسان **إريك فروم1900Erich Fromm**، **1980**، إلى كائن همه الوحيد هو أن "يملك المزيد ويستخدم أكثر...". (فروم، 2010، صفحة 70)، حيث أصبح العيش في كنف الآلة يحاصر الإنسان من كل

الجوانب وسلب منه إنسانيته فلزمه الخضوع بإرادته للعبودية. وفي هذا الإطار يؤكد **زيغمونت باومن** على الحالة المزرية للإنسان المعاصر التي قد تؤدي التقنية حتما إلى موته اجتماعيا وإنسانيا، ولم تعد التقنية توظف في سبيل إيجاد وسائل مناسبة تقود إلى تحقيق غايتنا، بل صرنا على العكس من ذلك، نسمح لغاياتنا بأن تحددها الوسائل المتاحة.

لقد أصبح الإنسان اليوم في خدمة التقنية، مما غيّر من طبيعة العلاقة بين الإنسان وذاته وهو عالم من الاستيلاب والاغتراب تغلغل في عالم الصناعة، وانعكس على حياة البشر و أضحى يعمل لصالح التوجهات الشمولية التي تهدد الوجود البشري برمته.وهذا ما ما يرمي إليه بقوله: «إن التغيرات التي تأتي بها التقنية في أيامنا، هذه غدت تؤثر في أفراد المجتمع، كما باتت تفكر في إمكانية نشوء بعض التوجهات الشمولية. (باومن، قوة الكلمات حوارات وأفكار، 2017، صفحة 25).

كما عمل النظام الحداثي الجديد على القضاء على العقل البشري وجعله في مأزق على حد تعبير **يورغن هابرماس** في دراسة له حول موضوع التقنية والعلم. (هابرماس، 2003، صفحة 05) إن فشل الإنسان في ربط علاقات طويلة المدى والتواصل المباشر بينه وبين غيره، وقيام تواصله على علاقات افتراضية سهلة الاستخدام مقارنة بالعلاقات الواقعية، حيث فقد عواطفه النبيلة واختصرت العلاقات في الصورة فقط، الأمر الذي أثر على سيولة العلاقات البشرية، مما يعني زوال الإنسان وموته في الخطاب الفلسفي المعاصر. بذلك صار الإنسان مجرد سلعة للاستهلاك تسوق من تسليع الفرد وإعادة تسليعه في كل وقت ليصبح سلعة قابلة للتبادل في الأسواق الإلكترونية. (جدروان، 2020، صفحة 09)

على ضوء ما تقدم يمكن القول أن الحداثة الغربية اليوم أفرزت الإنسان السائل المتبدل والمتغير، البعيد عن الثوابت الصلبة وغابت عنه معايير الإنسانية وأصبح يؤمن بقيم استهلاكية مصلحية في عصر سائل نرجسي، علاقاته فضفاضة، منتهك الذات تعيش الخوف والقلق والأمن، إنها ملامح انهيار الحداثة الصلبة وبزوغ الحداثة السائلة التي شكل الإنسان أجدى مظاهرها وتجلياتها ويصف **باومن** هذا الوضع الإنساني المريب في العالم المتقدم وما يحصل فيه من تحولات وتغييرا كبرى بقوله: «وقعت تحولات جوهرية متداخلة أو هي جارية في الوقت الراهن، وقد خلقت وضعا جديدا، بل وغير مسبوق لطرق الحياة الفردية ولعل أبرز مظاهرها انتقال الحداثة من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة». (باومن، المراقبة السائلة، 2017، صفحة 105).

**II- المجتمع الاستهلاكي:**

إن تحول المجتمع في ظل الحداثة السائلة إلى مجتمع الاستهلاك، جعل الناس يعمدون إلى الترويج لمنتجاتهم، «فالمجتمع الاستهلاكي يقوم على وعد بإشباع الرغبات البشرية بما يفوق ما كان بإمكان المجتمعات الماضية كافة أن تشبعه ويحلم بإشباعه». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 113)، لقد تحول الإشباع إلى إدمان ويبقى المستهلك يطلب المزيد من الحاجات، إنها سيولة الترويج للسلع المعروضة مهما كانت قيمتها، وهي مصدر الضمان في مجتمع الاستهلاك تحت شعار: **(اشتر، استعمل، أرم)** هذه الأسس الاستهلاكية للمجتمع الحداثي الغربي، مجتمع يمجد السوق الاستهلاكية وهو ما يؤكده ألان تورين حينما يقول: «إن المجتمع الحديث صار اليوم خاضعا إلى منطق السوق ... وإلى الاقتصاد على عقلانية الأداتية والاستهلاك الجماهيري». (تورين، 2010، صفحة 364).

إنها متلازمة الاستهلاك التي تطغى على متلازمة الإنتاج التي كانت عماد الأزمنة الصلبة، إذ تجد المستهلكين يميلون إلى استعمال الأشياء بسرعة ثم التخلص منها،

بل أنهم يفضلون السلع الأقصر عمرا بعدما كان في الماضي الرواج للسلع الدائمة، ليكون بذلك المجتمع الاستهلاكي. «مجتمع الإسراف والتبذير، ومن ثم فهو مجتمع النفايات». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 117).

إنها مسافة قصيرة بين السوق الاستهلاكية وسلة المهملات، أو مراكز النفايات على حد تعبير **باومن**، لقد تم إغراق السوق بالبضائع بكل ما يدر الربح هذه الأيام، وذلك أن المنافسة الاقتصادية التي تفرضها السوق في كل وقت يفتح المجال أمام التغيير والتحول لأن: « الإمكانات في عالم المستهلكين لا متناهية، والأهداف المغرية المفروضة لا يمكن استنزافها». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 126)

أصبحت العلاقات الإنسانية محل بيع وشراء، و يفتح المجال لتسهيل سبل الطلاق وتجديد الحياة، وباختصار فإن نظام السوق الاستهلاكي يعمل على جعل كل شيء قابلا للبيع والاستبدال، وشعار المستهلكين هو البحث عن الجديد، ثياب جديدة، حب جديد، أكلات جديدة...، إنها: « الحياة المتمركزة حول الاستهلاك التي لا بد أن تستغني عن القواعد والضوابط، إنها تهتدي بهدي الإغراء والرغبات المتزايدة والأماني المتقلبة على الدوام». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 127) وغدت سياسة التسوق الاستهلاكية دليل الحرية وفي هذا يقول **باومن**: «في المجتمع الاستهلاكي تمثلت المشاركة في التبعية الاستهلاكية وفي التبعية العالمية للتسوق الشرط الضروري لكل حرية فردية...». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 169)

باختصار فإن المجتمع الاستهلاكي جعل المستهلكين سلعا تباع وتشترى، سلعا قابلة للتغيير لأن :«الغرض المهم للاستهلاك في مجتمع المستهلكين ليس إشباع الحاجات والرغبات والامتيازات، بل تسليع المستهلك أو إعادة تسليعه إنه رفع حال المستهلكين إلى حال السلع القابلة للبيع». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 140)، وبذلك يمكن التخلص من البشر المستهلكين على شكل نفايات

بشرية فهل المجتمع البشري عند **باومن** مجتمع نقابات؟، وإن كان كذلك كيف يصوره **باومن**؟

يؤكد **باومن** على أن الصناعة الوحيدة المربحة هي القدرة على التخلص من النفايات البشرية على حد تعبيره وذلك أن الرفاهية لا تتحقق إلا بسرعة التخلص من البضائع وبعثها إلى مستودع النفايات بل على إنتاج معدلات ضخمة من النفايات البشرية لأنها أهم صفات الحداثة السائلة: «إن أفضل ابتكار حديث آخر هو صناعة التخلص من النفايات». (باومن، الحب السائل، 2016، صفحة 169)

ومن هذا الوضع البائس الذي يصوره **باومن** الوضع الحالي للعالم الحديث ويدعو إلى وجوب تطهيره والاعتناء به ويطلق عليه نظام الستة في المجتمع السائل ويعتبره مجرد غطاء لأسطورة الأمن والسلام التي بشرت بها الحداثة الزائفة. وإجمالا يمكن القول أن ثقافة الاستهلاك دمرت كل الروابط الإنسانية والحياة الأسرية ومست فيه الميوعة صميم العلاقات الإنسانية. لقد انعكست على الجانب الوجداني للأفراد وغيرت العلاقات الحميمية لتحل محلها المكالمات القصيرة والرسائل الالكترونية وغاب الأمن والاستقرار وانتشر الخوف والقلق وعدم الاستقرار بل أصبحت الدول تستثمر في الخوف وصناعته وذلك لتحقيق أهدافهم السياسية، «مثل الأموال الجاهزة للاستثمار في كل شيء، يمكن أن يحقق رأس مال الخوف، أي نوع من الربح سواء كان تجاريا أو سياسيا، فالسلامة الشخصية صارت منفذ بيع رئيس...». (باومن، الحياة السائلة، 2016، صفحة 101). وصارت مقاومة الخوف مؤرقة في عصر الحداثة السائلة حياة مربكة، مزعجة وما من سبيل لإيفائه، سوى التكييف من أدوات المراقبة التي أصبحت تجارة رابحة، ولم تتمكن الدولة في ظل العولمة الجارفة من حماية الأفراد مما يفتح المجال أمام الأفراد لإيجاد حلول فردية بأنفسهم ولمشاكلهم العالقة رغم الإمكانيات المحدودة.

لكن هل يقدم لنا **باومن** وصفا صحيحا للحداثة السائلة والتي هي حالة من الفوضى واللاأمن وتفكك للعلاقات الإنسانية وهو أمر تساءل عليه **باومن** في قوله: «إن المرء ليتساءل كيف استطاع النوع البشري المهيأ بنزعات مدمرة كتلك أن يظل على قيد الحياة حتى الآن... » (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 140).

فمجيب هذا التساؤل بأن هناك سبل للانفراج والخروج من الأزمة الراهنة ويؤكد هذا في قوله: «إنها مسؤوليات لنا تجاه عالم نعجز أن نكون مسؤولين عنه، فثمة أسباب للعمل الأن كما كنا سنعيش للأبد، كما كنا سنحيا أبدا لتحمل المسؤولية عن كلامنا وأفعالنا، أنه شعور بالعيش للمستقبل وإن لم يكن مستقبلنا». (باومن، المراقبة السائلة، 2017، الصفحات 152-153)، إنه تأكيد على أن البشر يعيشون على كوكب واحد، ويحكمهم مصير واحد وكذلك هم يفكرون في الحياة الآمنة للجيل القادم ويقصد دور علماء الاجتماع المعاصرين الذين يجب أن يقدموا حلولا جذرية و استعجالية، إلى جانب تعزيز التضامن الدولي والاعتماد على حقوق الإنسان ومنابعها الأخلاقية لتبديد الفوارق العرقية والإيديولوجية وحماية الإنسانية جمعاء وهنا يقدم **باومن** الأمل من أجل تجاوز الأزمة بتظافر جهود الجميع بخصوص الخبراء من أجل البحث عن أنجع السبل لتجاوز هذا الوضع المأساوي.

**III- تحديات التعليم في حقبة الحداثة السائلة:**

يؤكد **باومن** على أن «الحياة الاستهلاكية هي حياة من التعلم والنسيان السريعين». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 197) فالفرد في الحياة الاستهلاكية ينسى كل ما استهلكه، والحياة السائلة هي حياة اللحظة، ولهذا اعتبر **باومن** النسيان مثل التعلم والحياة السائلة لا ترتبط بالامتلاك والشعور بالإشباع مجرد وهم وأن الأشخاص المستهلكين منبوذين

اجتماعيا، كما أن الحياة الاستهلاكية تلزم الفرد على الاختيار «قد نختبر الخضوع لمطالب الواقع الصارمة على أنه تدريب على الحرية وإجراء لتوكيد الذات» (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 199) أي إن الحداثة السائلة هي التي تجعل الإنسان يعيش حياة اللحظة، دون الرجوع إلى الماضي، لقد طرأ تغيير في منظومة التعليم في عصر الحداثة السائلة، فلم تعد صلبة، في «العقود الأخيرة الماضية تحت تأثير سرعة التغيير الحديثة التي طرأت على الظرف الاجتماعي الذي وجد فيه الطرفان الأساسيان في عملية التعلم المعلمون والمتعلمون على حد سواء أنفسهم ملزمون بالتصرف». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 240) وهذا يعني أن التعليم في زمن الحداثة السائلة يغير بالتغير الذي حدث في مختلف الميادين، حيث أصبح مجرد حشو للمعلومات دون الاهتمام بالجانب المعرفي، لذلك يتم النسيان بسرعة، فالحداثة هنا، سائلة تعتمد على الإسراف والتبذير و «لم تعد الثقافة في الحداثة السائلة تبدو كثقافة تعلم وتراكم كما كانت الثقافات المدونة في تقارير علماء التاريخ والاثنوغرافيين ولكنها عوضا عن ذلك تبدو كثافة انسلاخ وانقطاع ونسيان...». (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 240) لقد تم نسيان المنتجات السابقة من التعليم بفضل سيولتها وتغيرها المستمر.

لا يمكن في مقال مختصر كهذا أن نلم شتات جميع الأفكار التي تحدث عنها **باومن** في جميع كتبه لكننا نحاول أن نتبع أهم ارتدادات مصطلح السيولة في فلسفة **باومن** النقدية والتي تعبر عن الوضع الراهن الذي اختاره **زيغمونت باومن** ليشرح لنا بوضوح تمظهرات السيولة على الحداثة السائلة والذي يحتوي على ما سيفسره **باومن** في كتبه اللاحقة، لذلك ركز **باومن** على البعد السوسيولوجي للحداثة وهو وصف جميل على لسان مترجمة حجاج أبو جبر حينما يقول: «جعل الكاتب كتابة الحداثة السائلة رسالة في زجاجة مغلقة، وألقى بها في بحر ليلتقطها

قارئ مجهول من الشرق أو الغرب، ويحاول فهمها واستيعابها والعمل بها. - **حجاج أبو جبر:** أستاذ الأدب والنقد في أكاديمية الفنون في القاهرة، ساهم في عدة ترجمات منها موسوعة السوفورد للبلاغة وموسوعة تاريخ الأفكار كما صدر له كتاب: نقد العقل العلماني-.

لقد شرح لنا **باومن** الحداثة الصلبة التي تسعى إلى الهيمنة على العالم وبناء الدولة، وصناعة القومية الصلبة والسعي لليقين إلى الحداثة السائلة التي تقوم على منطق الاستهلاك والقيم والعلاقات في ظل العولمة (باومن، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 08) لقد غيرت الحداثة مقومات العيش الإنساني وأعادت تعريف الزمان والمكان لمنحهما معاني مقترنة بالرأسمالية وأعادت طرح: ماذا نعني بالإنسانية؟ خاصة مع ظهور العولمة ليضع الحداثة الغربية أمام اختبار دقيق يهدف إلى دور العولمة في تعميم قيم الحداثة أم هي مجرد إيديولوجيا لفرض الهيمنة، إنها حياة التحديث الوسواسي القهري الإدماني على حد تعبير **باومن** (باومن، الحداثة السائلة، 2016، صفحة 20) وفي تحول عظيم صار المجتمع سائلا، وحلت الروابط الإنسانية وأصبح اللهث وراء كل جديد ويعزي باومن كل هذا إلى التفكيكية بمعنى الفصل بين القدرة على فعل الأشياء والقدرة على تحديد الأشياء الذي يجب فعلها وما يصاحب كل هذا من غياب للقدرة الإنسانية الفاعلة.

**مشروع باومن في ميزان النقد:**

على الرغم من أن **زيغمونت باومن** هو من بين أفضل علماء الاجتماع الأجانب الذين عرفت كتاباتهم انتشارا ورواجا في العالم العربي، إلا أنه لم يلق الكثير من التعليقات أو الأعمال التمهيدية التي تقدمه للقراء في الجزائر. ومع ذلك، فإن عالم الاجتماع الإنجليزي هذا، والذي هو من أصل بولندي، والمولود عام 1925، لا يتوقف عن نشر كتاب تلو الآخر، والذي نجد الكثير من علماء الاجتماع

والفلاسفة والصحفيين أصبحوا يوظفونه لفهم الحداثة التي تزداد صعوبة تعريفها. وقد أصبحت الفكرة المركزية التي قال بها، ونعني بذاك فكرة **"الحداثة السائلة"**، مفتاحًا رئيسيًا لفك رموز أسرارها.

يمكننا أن نلوم باومن على فقر جهازه المفاهيمي: لأنه إذا ظهر مفهومان في جميع أنحاء عمله، يقطعانه ويشكلانه، فهما بالفعل مفهوما الحرية والأمن؛ مفهومان كان **ألكسيس دو توكفيل** قد وظفهما في كتابه **"الديمقراطية في أمريكا"**، حيث " يتناول علم السياسة الخاصة **بتوكفيل** الحرية كما مورست في مجتمع موجود بالفعل، هو المجتمع الأمريكي " (مانسفيلد، 2016، صفحة 12)، و"بالنسبة إلى **توكفيل**، الحقوق مشتقة من الفضيلة؛ الفضيلة الموجودة في العالم السياسي، ستشجع تلك الفضيلة الفرد على المخاطرة بأمنه للدفاع عن الحرية " (مانسفيلد، 2016، صفحة 39). لقد كان هدف **توكفيل** من توظيف هذين المفهومين في كتابه الشهير هو تسليط الضوء على التناقض التأسيسي للأنظمة الديمقراطية. " إن مشكلة الديمقراطية يمكن أن تلخص بالشكل الآتي: إن المحرك الأول للديمقراطية هو كلف الإنسان الديمقراطي بالمساواة وهواه الغالب فيها. ولما كان كلفه بالمساواة يغلب حتى كلفه بالحرية، أصبح من الممكن أن يواكب تكليفه بالمساواة الاستعباد كما يمكن أن يواكب بالحرية. أي إن الاستعباد والاستبداد يمكن أن تتواجد مع أنظمة لها طابع ديمقراطي، بل إن المبدأ الديمقراطي – إن لم يهذب ويوجه – يميل إلى السير في اتجاه نظم استبدادية أقسى من أي نظام استبدادي قاساه الجنس البشري من قبل: إما استبداد فرد واحد على جميع الآخرين، وإما استبداد الأغلبية على الأقليات، وإما استبداد الكل على الكل. هذا هو التناقض الكامن في الديمقراطية " (توكفيل، 1962، صفحة 07).

ومع ذلك، فمن خلال مفهومي الحرية والأمن الغامضان نسبيًا، بدأ باومان نقده للمجتمعات الشمولية، والحداثة، وما بعد الحداثة، والمجتمعات ذات الهشاشة المنهجية، والمعروفة باسم المجتمعات "السائلة"، أي الموضوعات السوسيولوجية ذات أبعاد وامتدادات مقلقة، سواء في نطاقها ومداها أو في تعدد معاني دلالاتها. يتضاعف هذا الانزعاج من خلال حقيقة أنه لا يمكننا أن نمنح مكانة محددة لعالم الاجتماع البولندي: فهو ليس لا كاتب مقالات ولا منظّر ولا حتى رجل ميدان، بل هو نوع من "المشاهد الملتزم" لنصف القرن الماضي، وهو مفكر انتقائي، يصنع مشروعه من كل "الانتقادات الاجتماعية" وكل الأمراض التي عرفها نصف قرن، يجب الاعتراف بتلك نجاحات مشرفة في المشهد الاجتماعي المعاصر.

قد يرى البعض في هذا علامة على انتهازية باومن، والتي يبدو أنها تختمر أكثر فأكثر في البصمات النظرية وظواهر الحداثة المعاصرة غامض وانتقائي وانتهازي – هذه هي تقريبا السمات الأكثر مكروهية في المرحلة الحالية لإعادة الطابع التجريبي لعلم الاجتماع. لكن هذه السمات المزعجة تنقلب بسهولة ضد أولئك الذين يرغبون في محاكمته بشكل متسرع. من المؤكد أن جهاز بومان المفاهيمي جد فقير. إن القول بأن المجتمعات الشمولية هي انبثاق نموذجي للحداثة من خلال المبالغة في تقديم الأمن على الحرية، بينما على العكس من ذلك، فإن المجتمع ما بعد الحداثي يبالغ في تقديم الحرية على حساب الأمن، قد يبدو كاريكاتوريًا، لأنه من الواضح أنه تم العثور على هذا المخطط نفسه بالفعل عند **توكفيل** للتمييز بين المجتمعات الديمقراطية ومجتمعات الأنظمة القديمة، ولعل ذلك يعود إلى أن توكفيل " وجد أن التدفق والحركة والسريان هي السمات الغالبة في جميع أنحاء الولايات المتحدة " (جوزيف، 2010، صفحة 35)، و هي فكرة تحيل إلى السيولة عند باومن؛ ولأن الغموض الفني إلى حد ما لهذه المفاهيم يسمح لنا بقول كل

شيء. لكن هذا دون الأخذ في الاعتبار فترة المراقبة الطويلة بشكل خاص والتعنت أو العناد الذي يقوم به بومان بإجراء مثل هذه التشخيصات؛ مدة طويلة يمكننا تقسيمها إلى أربع مراحل للتأمل والتفكير.

بدأ كل شيء بالنسبة له بنقد الشمولية. نقد متفق عليه، سيقال اليوم، لقد تم التفكير في هذا الموضوع في جميع الاتجاهات منذ الخمسينيات. لقد تم التركيز والتشديد على تضخم الأمن الذي يجعل من الممكن وضع البيروقراطية و معسكرات الإبادة على نفس المستوى. في الثمانينيات، تبع ذلك تفكير طويل إلى حد ما في مفهوم التناقض والازدواجية. لم يعد بومان يفكر في هذين المفهومين بطريقة حصرية وساذجة - فالكثير من الأمن يضر بالحرية والعكس صحيح -، ولكنه يكتشف في نفس الوقت كل من أمراض الحرية والحاجة إلى الأمن (على سبيل المثال في عدم الاستقرار). " ولا يعتقد المجتمع الحديث أنه من الممكن أن يكون آمنا بدون الأخذ بمقاييس لحراسة أمة عن وعي و ترو، (...) يكون سبب المنع هدف الإدارة إذا كان هناك سبب للاعتقاد أن الاختيار المعين أو المحدد قد يجعل الناس يتصرفون بطريقة تضاد السلوك المطلوب لاستقرار النظام الاجتماعي وثباته، إن هذا هو التضاد أو التناقض بين التبعية والاستقلال، بين الضبط والانضباط الذاتي، بين التنظيم والحرية " (باومن، الحرية، 2012، صفحة 28).

إنه ضمن هذا السياق يكتشف ظاهرة الاستهلاك الجماهيري، ومن خلاله يكتشف حرية مستلبة بشكل غريب. لأن حرية المستهلك ليست أكثر من أيديولوجية الاختيار الحر من خلال نظام محدد بشكل ضيق و قيود ضمنية. هذه المرحلة الثالثة هي بطريقة ما اختبار لمفهوميه الرئيسيين، مدركين في تناقضهما. لكن في المرحلة الرابعة، التي تجاوز فيها بومان السبعينيات من عمره، أظهر تمامًا موهبته باعتباره خبيرًا ومختصا في التشخيص للأزمنة الحاضرة، كما يقول الألمان. وهي استعارة مادية ونقدية (مرتبطة بالنقود) على حد سواء، تقودنا إلى عالم من

العلاقات المبرمجة مسبقًا، حيث يتم التكييف والتوفيق بين الحرية والأمن وفقًا للقيود النظامية - مع الحفاظ على الأوهام التي تحملها هذه المفاهيم تاريخيًا.

إذا كانت الحداثة، وفقًا **لنيكلاس لوهمان** (Luhmann Niklas)، تخضع لعملية تمييز وظيفي، " فالنظرية تعالج تمايز نسق الفعل وتبعات التمايز المستمر دائما وتتوافق بلا ريب مع التصورات الدوركايمية حول تقسيم العمل أو مع تقليد علم الاجتماع عموما الذي وصف المجتمع الحديث بالمجتمع المتمايز " (لومان، 2010، صفحة 49)، فإن الجانب الآخر من هذا التكاثر للأنظمة الفرعية المجهزة بوسائطها الخاصة هو عملية تمايز يعطينا بومان صورة بليغة عنها. سواء تعلق الأمر بالحب، أو الحياة، أو الحداثة، أو الزمن، أو الخوف، فإن سيولتها لا تدل فقط على هشاشتها أو عدم أهميتها، ولكن أيضًا تدل ظهور قطبيات في الماضي- وبالتالي إمكانات الصراع -، فإنه في الوقت الحالي لم تعد تظهر اليوم سوى مجالات اللامبالاة (الأخلاقية، السياسية أو الثقافية) واللااكتراث أو اضفاء طابع اللامبالاة. لطالما نظر بومان إلى علم الاجتماع باعتباره مشروعًا لتحرير الأفراد - "حرب ضد عملية شمولية الوجود ومن أجل استقلالية الإنسان"، لكن **باومن** لا يهتم بالملصقات التي غالبًا ما تحل محل التأمل من خلال مجرد التسمية البسيطة. إنه قاص أو راو، وليس منظّرًا. هذا النوع يمكن أن يزعج عالم الاجتماع المحترف، لكن يبدو لي أن هناك مكانًا ضروريًا حتى للمسافرين بلا حدود مثله. نتذكر أنه حتى في البانوراما الفرنسية، كان هناك جان بودريار الذي استكشف بسعادة المجالات الأكثر تنوعًا، من التحليل النفسي إلى علم الأحياء، ومن مونوغرافيا الأشياء إلى التصوير الفوتوغرافي، إلى حد كبير أرعب منتقديه. وهذا يعني أن الحدود يسهل اختراقها في النوع الأدبي لعلم الاجتماع، وأنه بدلاً من عزلها بالجدران وفصلها عن بعضها البعض، يجب أن تظل مفتوحة، مع خطر كسر الأبواب المفتوحة، وخلط الأنواع والقيام بـ" تأملات غير شرعية .

إن أي شخص يعرف شرائع وقيود هذا النوع من الممارسة الأكاديمية سيجد أن مهمتنا تبدو مغامرة حقيقية. إن محاولة التعامل مع هذا الكم الهائل من المنشورات ونظرية مثل نظريته حول "**السيولة**" تجعل من الصعب مقاربتها، دون الوقوع في التفاهة الصحافاتية، تحديًا حقيقيًا. لكننا سنكون رغم صعوبة المحاولة قد نجحنا في هذا الرهان لو تمكنا من تجاوز الوقوع في المدح أو السماح لنفسنا بالتأثر بالإحراجات المختلفة التي كان من المفترض أن يثيرها هذا المؤلف، وذلك بتتبع نشأته وتطوره بأمانة كبيرة. لذلك يمكننا بدون فخر أن نعتبر محاولتنا هاته مفيدة للغاية التي نقترحها هنا ونوصي بها لأي شخص يرغب في المغامرة أكثر في منعرجات العالم السائل **لزيغمونت باومن.**

**خاتمة:**

حاول **باومن** تسليط الضوء على ظاهرة الميوعة وتجلياتها في المجتمع الغربي وأراد الوقوف على سلبياتها وتمظهراتها، كما حاول توضيح العقليات التي تحول دون نشر فوائدها وذلك بلغة علمية تفسيرية نقدية، فواقع الأمر عنده أنه لا يوجد قالب تعرض للتحطيم إلا وحل محله قالب آخر، وما أطلق سراح الناس من سجونهم القديمة إلا ليدخلوا في سجون التوبيخ والعجز عن نقل أنفسهم في الأماكن الجاهزة التي وضعتها الحداثة الغربية وفي المرجعيات الاجتماعية والسياسية التي تفككت، لقد كانت المهمة التي تواجه الفرد هي كيفية استخدام حريته لإيجاد الحلول المناسبة بحيث يمتثلون للقواعد السلوك التي أقرت الحداثة بأنها صحيحة وملائمة. (باومن، الحداثة السائلة، 2016، صفحة 47).

لقد تمظهرت السيولة في عصر القلق والخوف في كل مراحل الحياة ولم تنجح التكنولوجيا في حمايتها أو إنقاذها، لقد امتدت السيولة من سيولة الحركة إلى سيولة المشاعر والعواطف، لقد تغيرت المفاهيم وتبدلت وبدأ الصراع بين ما كنا نتصور، وبين ما هو مطروح في الواقع، فلا هدوء سبب الخيارات اللامتناهية.

وشكل فكر **باومن** النقدي وموقفه من الحداثة الغربية ومآلاتها الكارثية على الإنسان نافذة مطلة على الواقع المعاش، والذي أخضع فيه **باومن** الفكر الإنساني المعاصر إلى فحص دقيق فهو يصف مختلف أمراضه بدقة وعمق ويعرض أفكار جديدة وأصيلة وشديدة الأهمية لما لها من دور في فهم الوضع الراهن من عصر السيولة، لقد شكل حال الإنسانية في تغلبها المحور الرئيسي لفكر **باومن** الذي عمل فيه على شرح الحداثة الغربية عبر مسيراتها وانتقالها من الصلابة إلى السيولة وسرعة التغير، إذ أصبح التفكيك من السمات العادية وهو نتيجة حتمية لعملية الاذابة والتمييع التي تركزت بصمتها على شكل العلاقات الإنسانية، هي فلسفة تدعو إلى التحرر من الماضي ورافق هذا التحول ظهور المجتمع الاستهلاكي الذي مس كل مناحي الحياة.

لقد غدت الهويات متغيرة باستمرار وانتشر الخوف وعدم توفر الأمن، وغابت الوحدة، وافتقر الإنسان لأدوات التعايش، وما زاد فكر **باومن** تألقا هو راهنيته لكل ما يعانيه الإنسان المعاصر من أزمات فهو يعرض الأفكار الأصيلة ويصفها بدقة وعمق لكن كيف يمكن الخروج من هذا المأزق وكيف يمكن أن نسترد إنسانية الإنسان، وما هي مسالك الخروج على ضوء هذه المسائلة النقدية للحداثة.

إن النتيجة التي يصل إليها **باومن** في نقده للحداثة الغربية أن هذه الحداثة حاولت الخروج بالإنسان من الخضوع إلى السيادة، إلا أن ذلك أدى إلى تراجع الإنسانية في سلم القيم والأخلاق، حيث طغت المادة ورأس المال الفاحش فظهر الصراع والحروب وزاد تمرد الإنسان وطغيانه وأراد أن يصبح متألها وهذا ما خلق انهيار لمنظومة القيم وفقدان الشعور بالذات وأصبحت هناك حياة سائلة تفتقد للقيم الجمالية والاحساس بالوجود، لقد أصبح إنسان الحداثة مجرد رقم عند الرأسماليين وأصبح العلم تابعا للسلطة والمال لذا يرى **باومن** أن أكبر تحدي

للبشرية هو تأسيس سلم القيم وإعادة ترتيبه لتجنب مستقبل مجهول وضمان الاستقلال والحرية.

أرجع **باومن** في نقده للعولمة وتأثير إديولوجياتها إلى سيادة نظام العولمة، لذا فتحليله الفكري منطقي يضع السيولة متزامنة مع تحولات العولمة وتحدياتها، لكن يجب أن نؤكد هنا أن تناول **باومن** للعلاقة بين الأخلاق والسيولة والحداثة والعولمة أخذ تفسيرا ميتافيزيقيا من خلال تحليله لما وراء الدولة ولما وراء السياسة والأخلاق ما بعد الحداثة، لكنه أسرف في التمييز بين ما بعد الحداثة والحداثة السائلة ولم يقدم في اعتقادنا التوضيحات اللازمة، ورغم ذلك يجب أن نؤكد أن الكثير من القضايا التي أثارها **باومن** يجب أن تبحث بعمق في مدى ملائمتها لواقع هويتنا العربية وذلك على ضوء متغيرات العصر التي نحياها لخلق نوع من المثاقفة بين الحداثة الغربية والحداثة العربية، وإن صح التعبير تشكل الدراسات **الباومنية** من زاوية أكاديمية على تشجيع الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية على تناول مثل هذه الظواهر الأخلاقية الجديدة وذلك لتقديم رؤية حول المشكلات الجديدة للعلوم الاجتماعية.

1. قائمة المصادر والمراجع
2. إبستان جوزيف. (2010). ألكسي دو توكفيل: المرشد إلى الديمقراطية. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.
3. إريك فروم. (2010). ثورة الامل نح تكنولوجية مؤنسنة. مصر: مكتبة دار الحكمة للنشر.
4. ألان تورين. (2010). نقد الحداثة. (عبد السلام الطويل، محمد سبيلا، المترجمون) المغرب: إفريقيا الشرق.
5. ألكسيس دي توكفيل. ( 1962). الديمقراطية في أمريكا . القاهرة: عالم الكتاب.
6. زيغمونت باومن. (2012). الحرية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
7. زيغمونت باومن. (2014). الحداثة والهولوكوست (الإصدار 1). (حجاج أبو جبر ودينا رمضان، المترجمون) القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.
8. زيغمونت باومن. (2016). الأخلاق في عصر الحداثة السائلة. أبو ضبي: هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة.
9. زيغمونت باومن. (2016). الحب السائل. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
10. زيغمونت باومن. (2016). الحداثة السائلة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
11. زيغمونت باومن. (2016). الحياة السائلة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
12. زيغمونت باومن. (2017). المراقبة السائلة. بيروت :الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
13. زيغمونت باومن. (2017). قوة الكلمات حوارات وأفكار. العراق: دار المدى.
14. مجاج خليل، جدروان. (2020). الإنسان السائل: نحو انطولوجيا رقمية سائلة عند زيغمونتباومن. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، صفحة 02.

15. محمد البقالي. (2018). سؤال المهنية والأيديولوجيا في الصحافة: الحالة المغربية أنموذجًا. الدوحة: مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

16. محمد الشيكر. (2006). هيدجر وسؤال الحداثة. المغرب: دار إفريقيا الشرق.

17. محمد همام. (2020). الحداثة والخوف وكورونا. 04.

18. نيكلاس لومان. (2010). مدخل إلى نظرية الأنساق. بغداد: منشورات الجمل.

19. هارفي سي مانسفيلد. (2016). مقدمة قصيرة جدًّا. القاهرة/مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

20. يورغن هابرماس. (2003). العلم والتقنية كأيديولوجية. ألمانيا: منشورات الجمل.

21. http://aawsat.com/home/article828101. (بلا تاريخ).